إنجيل يعقوب التمهيديّ

القسم الأوّل: مقدّمات

الأب أيوب شهوان
أستاذ مادّة الكتاب المقدّس
جامعة الروح القدس – الكسليك

مقدّمة

تحتلّ رواية **ميلاد مريم**، التي يُشار إليها تقليديًّا بالتسمية **إنجيل يعقوب التمهيديّ**[١]، مكانًا على حِدَةٍ في الأدب المنحول؛ فمن جهة أولى، هو أقدم أناجيل الطفولة[٢]، ومن جهة ثانية، عرف انتشارًا غير عاديٍّ، وأثّر تأثيرًا عظيمًا على قيام إكرام مريم بشكلٍ خاصّ، وعلى الليتورجيّا بشكل عامّ. أخيرًا، شكّل مصدر إلهام للفنّانين إن في الشرق وإن في الغرب إلى حدٍّ كبير.

يروي **إنجيل يعقوب التمهيديّ** في خمسة وعشرين فصلاً وبوصف جميل الحبل العجائبيّ بالعذراء، وتقدمتها في الهيكل، وخطبتها ليوسف، وبشارتها، وزيارتها، وميلاد يسوع، وزيارة المجوس، وموت زكريّا، ويقف عند موت الأطفال الأبرياء. وهو إذ يتكلّم على مريم في ضوء العهد القديم (سارة وإبراهيم والخروج)، يقصد أن يُقيم مريم في إطار تاريخ الخلاصي. وإذ يروي ما يرويه حول ميلاد يسوع، فإنّه يقصد أن يشيد ببتولة مريم الدائمة، وأن يردّ على أعداء يسوع ومريم. كان له عظيم الأثر في اللّيتورجيّا والفنّ.

وُضع قبل آخر القرن الثاني، ويدعى في المخطوطات القديمة "**ميلاد مريم**" و"**رؤيا يعقوب**". كُتب **باللغة اليونانيّة**، ثمّ نُقِلَ لاحقًا إلى لغات عدّة.

تعود أوّل مخطوطة اكتُشفت إلى القرن الثالث، وكان عنوانها: **ميلاد مريم، رؤيا يعقوب** (أخي الربّ).

يروي هذا الإنجيل أحداثًا بعضها سبق الأحداث التي ترويها الأناجيل القانونيّة، ثمّ يرجع إلى الأناجيل الأربعة وإلى تقاليد شفهيّة قديمة من القرن الثاني المسيحيّ (وقد أثبتها الآباء الأوّلون في كتاباتهم)، ليحدّثنا عن ميلاد يسوع في المغارة، كما ورد عند القدّيسَين يوستينوس وإغناطيوس الأنطاكيّ. ونقرأ فيه أنّ يواكيم وحنّة والدَي العذراء كانَا شيخَين عاقرَين، فعرفَا بواسطة الملاك أنّه سيكون لهما ولد في وقت قريب. وهكذا كان، فرزقهما الله ابنة سمّياها مريم، وكرّساها للربّ منذ ولادتها وقدّماها إلى الهيكل وهي **بعمر الثلاث سنوات**. وكانت تقتات بطعام يحمله إليها كلّ يوم ملاك من السماء. ولمّا بلغت **اثنتي عشرة سنة**، وَكَلَ الكاهن الأعظم حماية بكارتها إلى يوسف –وكان أرملاً وله أولاد– الذي اختاره الله لهذه المهمّة بطريقة عجيبة.

---

[1] F. BOVON et P. GEOLTRAIN, *Écrits apocryphes chrétiens*, I, Gallimard 1977, pp. 73-77.

[٢] هناك تلميحات إلى هذا النصّ لدى إكليمنضوس الإسكندريّ (*Stromates*, VII, 93, 7)، ولدى أوريجانوس (**تفسير متّى** ١٠: ١٧)، وذلك للردّ على وشايات متعلّقة بيسوع وبأمّه، تشهد على قِدَم **إنجيل يعقوب التمهيديّ**. أنظر أيضًا أوريجانوس في **ردّه على شلسيوس** (*Contre Celse*)، وهو أقدم كاتب وثنيّ وضع مؤلّفًا ضدّ المسيحيّة (*Discours véritable*)، ما بين العامَين ١٧٨ و١٨٠.

وأتى الملاك مريم مرّةً أولى عند عيد البلدة، ثمّ مرّة ثانية في غرفتها ليبلغها أنّها ستكون أمّ يسوع. وعند ولادة يسوع، امتلأت المغارة بسحابة، علامة حضور الله، حلّ محلّها نور يعمي البصر. وما إن اختفت السحابة المضيئة، حتّى بدا الطفل في المغارة (تشديد على سرّ ولادته). وشكّت سالومة ببتوليّة مريم، فكان عقابها قاسيًا. وعرف الجميع أنّ مريم بقيت عذراء قبل الميلاد وفيه وبعده.

١ – تسمية الإنجيل

تعود التسمية، **إنجيل يعقوب التمهيديّ**، إلى اليسوعيّ الفرنسيّ غِيُّوم بُوسْتِل[٣]، الذي اكتشف هذا النصّ أثناء واحدة من رحلاته إلى الشرق، وعرّف القرّاء الغربيّين إليه عندما نشر ترجمته اللاتينيّة سنة ١٥٥٢. فرضت هذه التسمية ذاتها منذ ذلك الحين، وتواصل استعمالها في معظم الطبعات، حتّى ولو بدا أنّ العنوان الأصليّ هو **مولد مريم**.

عنصرًا عنوانِ هذا الإنجيل، أي **مولد مريم**، **ورؤيا يعقوب** (αποκαλυπσις Ιακοβ)، الذي يُدعى غالبًا "رسولاً"، أو "أخَا الربّ"، أو "أسقفَ أورشليم". لقد أطلق غِيُّوم بُوسْتِل التسمية **الإنجيل التمهيديّ** (*Protoevangelium*)، لأنّ النصّ يروي أحداثًا سابقة لروايات الأناجيل القانونيّة ، كمولد مريم وطفولتها.

وتحمل أقدمُ مخطوطة معروفة، وهي **برديّة بُودْمِر ٥**، العنوان التالي: **مولد مريم، رؤيا يعقوب**، وهما موجودان في معظم المخطوطات اليونانيّة.

وهناك مخطوطات أخرى تعطي هذا الإنجيل العنوان التالي: **قصّة** أو **رواية يعقوب**، أو أيضًا، كما يسمّيه أوريجانوس وبكلّ بساطة: **كتاب يعقوب**.

ويعكس التقليدُ المخطوطُ وتلميحاتُ آباءِ الكنيسة الإشارةَ المزدوجةَ إلى مريم[٤] وإلى يعقوب[٥].

٢ – المؤلِّف

استنادًا إلى الفصل ٢٥ من **إنجيل يعقوب التمهيديّ**، يُقال إنّ الكتاب هو من وضع الرسول يعقوب الصغير، أخي يسوع بحسب الإنجيل، ونصفِ الشقيق له: "أنا يعقوب، الذي كتب هذه القصّة...". يعقوب هذا هو، من دون شكّ، نسيب يسوع، يجعل منه **إنجيلُ يعقوب التمهيديّ** الأخَ غيرَ الشقيق ليسوع، وقد وُلِدَ من زواج يوسف الأوّل.

يستعمل المؤلِّف بحرّيّةٍ الرواياتِ القانونيّةَ حول الطفولة وبعض التقاليد الشفهيّة.

---

[3] Guillaume POSTEL, *Protévangile de Jacques*.

[٤] مثلاً، **مولد مريم**، بالنسبة إلى **برديّة بُودْمِر ٥**، وبالنسبة إلى قسم كبير من المخطوطات اليونانيّة:
Livres sur la nativité du Sauveur et sur Marie ou *la sage-femme*, dans le *Décret de Gélase*.

[٥] مثلاً: **رؤيا يعقوب**، بالنسبة إلى **برديّة بُودْمِر ٥**؛ **كتاب يعقوب**، بالنسبة إلى أوريجانوس في تفسيره متّى ١٠: ١٧؛ **إنجيل تحت اسم يعقوب الصغير**، بالنسبة إلى جلاسيوس.

بالكاد يعرف واضعُ **إنجيلُ يعقوبَ التمهيديُّ** التيّارَ اليهوديّ (judaïsme)، فلا يمكن بالتالي أن يكون مسيحيًّا من أصل يهوديّ. لا يدين هذا المؤلَّف بشيء لليهود-المسيحيّين، كما يتبيّن ذلك من خلال جهله للعادات اليهوديّة. ربّما كان كاتبه من أصل وثنيّ، وبالتحديد من مصر أو من آسيا الصغرى، وضع نصّه لغرض دفاعيّ، هو تسويةٌ مع اليونانيّين واليهود في ما يتعلّق بمسألة حسّاسة، هي **تجسّد يسوع**، إذ **لا تجسّد دون نقاء مريم المطلق**، ليس فقط كونها عذراء قبل الميلاد، وأثناءه وبعده، بل لأنّها أيضًا استمرّت في نوع من الحالة الملائكيّة منذ الحبل بها.

٣ – التاريخ في إنجيل يعقوب التمهيديّ

إنّ "التاريخ" الذي يقول يعقوب بأنّه كتبه ("أنا يعقوب، الذي كتب هذه القصّة"، ٢٥: ١) هو مبنيّ بطريقة فنّيّة؛ فالمؤلِّف يُضاعِف المشاهدَ، ويكرّر الموضوعات، ويضع في الموازاة الأشخاص، ويُبرز التضادّ. على طريقة المدراش الأجّاديّ[٦] يعيد **إنجيل يعقوب التمهيديّ** تفسيرَ الفصول الأولى من إنجيلَي متّى ولوقا، فيحلّ الصعوبات الناتجة عن هذه النصوص من حيث الاختلافات في ما بينها، ويملأ الصمت حيث لا يذكر الإنجيليّان شيئًا يتوقّعه القارىء ولا يجده، ويوضح ما يلزمه توضيح، ويضع جانبًا بعض العناصر، ويشكّل هكذا رواية متتالية وبنّاءة تلقّن القارئ كيف عليه أن يُفسِّر نصوصًا يعرفها، من أجل أن يضع تاريخَ ولادةِ أمِّ يسوع وطفولتِها، يأخذ له نموذجًا مقاطعَ وموضوعاتٍ ببليّة؛ والمَثَل الأكثر بيانًا هو قصّة حنّة ويواكيم المُصاغة انطلاقًا من ١ صم ١–٢ الذي يقدّم لمؤلَّف **إنجيل يعقوب التمهيديّ** اسمَ أمِّ مريم، ويخبر أنّ حنّة كانت عاقرًا، وأنّها نذرت بأن تُكرِّسَ للربّ الولدَ الذي سيولد منها، وينقل إلينا النشيدَ الذي أُنشد للربّ، ويفيد عن التقدمة إلى الهيكل.

٤ – متى وُضِع إنجيل يعقوب التمهيديّ

وُضِعَ **إنجيل يعقوب التمهيديّ** في اليونانيّة، بُعَيْدَ منتصف القرن الثاني. هو أقدم إنجيل منحول حول الطفولة[٧].

ويُدرِجُ **الإنجيلُ التمهيديُّ**، إضافةً إلى ذلك، تقاليدَ غيرَ واردةٍ في الأناجيل القانونيّة، لكنّها معروفة في أمكنة أخرى، مثلاً، الولادة في مغارة، الأمر الذي يعرفه يوستينوس، ويورد ذِكْرَه لاحقًا أوريجانوس موضحًا أنّه، في

---

[٦] رج إميل عقيقي، **مدخل إلى الأدب الرّابِينيّ**، سلسلة "الأدب الرّابِينيّ"، الرقم ١، منشورات كلّيّة اللاهوت الحبريّة، جامعة الروح القدس، الكسليك، لبنان ٢٠٠٥:

"يُعنَى **المدراش** بتفسير التوراة في جميع أقسامها السلوكيّة والقصصيّة..." (ص ١٥٩).

"إنّ لفظة "**أجّداه**" هي مشتقّة من الجذر العبريّ "ن ج د" (נגד)، ومنه أيضًا لفظة "**هجَّداه**" (הנגדה)؛ واللفظتان تعنيان روى، وأخبر، وقصّ، وسرد شفهيًّا... و**المدراش أجّداه** هو المدراش الذي يبحث في التوراة عن ما لا يعطيه نصّ التوراة المقتضب، فيذهب الباحث، في إرواء غليله، وغليل المستمعين، إلى الاستفاضة في تفسير تصرّفات الأشخاص ومسار الأحداث سعيًا وراء معانٍ دينيّة، وعِبَر حياتيّة، وأمثال تفسيريّة، تسهّل على المستمع فهْمَ كلمة الرب، وبالتالي عيشها ببساطة وعمق" (١٦٣–١٦٤).

[٧] رج:

E. AMANN, *Le Protévangile de Jacques et ses remaniements latins*, Paris, 1910; C. MICHEL, dans *Évangiles apocryphes* I, Paris [2]1924; F. AMIOT, *La Bible apocryphe. Évangiles apocryphes*, Paris, 1952, 47-64.

أيّامه، وفي بيت لحم، كان بالإمكان رؤية "المغارة التي كان يسوع قد وُلِد فيها، وفي المغارةِ المعلف حيث لُفَّ (بالأقمطة)"[٨].

٥ – هدف إنجيل يعقوب التمهيديّ

وإلى ذلك، فإنّ الأناجيل المنحولة تهدف إلى عرض الحقائق الدينيّة بطريقة جذّابة للشعب، الذي من طبعه يفضّل عرضًا حيًّا في إطار من الأمثال والرموز والقصص على عرض مجرّد للحقيقة، كما يفعل **إنجيل يعقوب التمهيديّ** الذي يثبت بتوليّة مريم من خلال شتّى التصاوير، بطريقة تقيم يسوع ومريم في وسط تاريخ الخلاص، وتجعلهما أقرب ما يكون إلينا. ويثبت **إنجيل توما** كونَ المسيح "الكلمة" إلهًا من خلال صنعه بكلمته طيرًا من طين.

وُضِع **إنجيل يعقوب التمهيديّ** إكرامًا لشرف العذراء مريم، ويشهد هكذا على قِدَم إكرامها، فشكّل بذات الفعل مصدرًا للاهوت المريميّ عبر العصور.

نتبيّن الهمَّ الدفاعيّ لدى المؤلِّف من خلال عدم كتمانه السرّ؛ فهو، مثلاً، لا يتردّد في أن يجعل القابلة تستنتج عذريّة مريم عند مولد يسوع.

يُدْرَج **إنجيل يعقوب التمهيديّ** في مجموعة **الأناجيل التكميليّة**[٩]، أي في فئة الأناجيل المنحولة التي يعود تأليفها إلى الفُضُول التقويّ لدى شعبٍ يتساءل عن سبب وجود فراغاتٍ تركتْها نصوصُ الأناجيل القانونيّة، ويهدف بالتالي إلى أن يرى هذه الفراغات تُمْلَأُ بما يشبع الفضول. تعطي الأناجيل المنحولة تفاصيل حول مولد يسوع وطفولته أكثر ممّا تفعله روايات متّى ولوقا.

إنّ هذا الإنجيل التمهيديّ الذي اعتُبِر واضعُهُ لاحقًا أنّه يعقوب الصغير (رج مر ١٥: ٤٠)، هو ذو أهمّيّة ليس فقط لاهوتيّة، بل ليتورجيّة أيضًا، إذ إنّه في أساس العديد من الأعياد، كأعياد الحبل بمريم، ومولدها، وتقدمتها إلى الهيكل، واسمَي يواكيم وحنّة والدَي مريم. وقد استلهم الفنُّ المسيحيُّ دائمًا هذا المؤلَّف المنحول؛ لذلك مَن يجهْلُه يكون عاجزًا عن فَهْم إيقونوغرافيا حياةِ مريمَ وطفولةِ المخلّص.

٦ – مضمون إنجيل يعقوب التمهيديّ

كان يواكيم رجلاً غنيًّا ووجيهًا، ولم يكن له نَسْلٌ. أتى إلى الهيكل ليقدّم تقدمتّه، لكنّه صُرِفَ من هناك. وفي ذروة غمّه، انسحب إلى الصحراء، فبقيت حنّة امرأته وحيدة، وراحت تَندب حظّها، وتلعن عقريّتها. وإذ كانت جالسةً تحت شجرة غار، نظرت إلى السماء، فرأت دُوْرِيًّا، فتنهدّت قائلةً: "ويل لي... لقد وُلِدْتُ ملعونةً! ويل لي،

---

[٨] "وُلِد الصبيُّ في بيت لحم. وإذ لم يكن ليوسف موضع في هذه القرية، لجأ إلى مغارة قريبة من بيت لحم. وفيما كان هناك، ولدت مريمُ المسيحَ وأضجعته في مذود" (**الحوار مع تريفون**، ٧٨، ٥، في: القدّيس يوستينوس، **الدفاع عن المسيحيّين، الحوار مع تريفون**، تعريب جورج نصّور، مجموعة "أقدم النصوص المسيحيّة"، سلسلة "النصوص الليتورجيّة"، الرقم ٧، الكسليك ٢٠٠٧، ص ٢٦٦). رج أيضًا أوريجانوس، **ضدّ تشلسيوس**، ١، ٥١.

[9] J. B. BAUER, *Les apocryphes du NT*, coll. Lire la Bible/ 37, Cerf : Paris 1973, p. 51-56.

مَن أَضحَيْتُ أُشبِهُ؟ ليس إطلاقًا طيور السماء؛ هي أيضًا خصبةٌ أمامك، أيّها الربّ!" (**إنجيل يعقوب التمهيديّ** ٣: ١-٢).

ظهر لها ملاك، ووعدها بمولد ولد، ثمّ أُبْلِغَت البشرى ذاتُها إلى يواكيم العائد إلى منزله، فَسُرَّ الاثنان سرورًا عظيمًا. وبعد سبعة أشهر، وَلَدَتْ حنّةُ ابنةً. لا ترمي هذه الإشارة الزمنيّة إلى ولادة عجائبيّة قبل الوقت، ولا ترمي إلى إعطاء إشارةٍ ما حول الوقت الذي مَرَّ منذ عودة يواكيم. تهدف رمزيّة هذا الرقم المقدّس إلى الكلام على قداسة الطفل الذي أعطته حنّةُ اسمَ "مريم".

كبرت مريم بشكل عجائبيّ. ولمّا بلغت من **العمر ستّة أشهر**، وبهدف أن ترى أُمُّها إذا ما كانت قادرة على أن تقف، وضعتها على الأرض، فخطت سبع خطوات، وهذا دليل على حياةٍ بارّة! وفي **عمر الثلاث سنوات**، قدّمها والداها إلى الهيكل، فنُشِّأت كيمامة، إذ كان هناك ملاكٌ يحمل الغذاءَ إليها. عندما بلغت **الثانية عشرة من العمر**، دعا زكريا، عظيمُ الكهنةِ، أراملَ إسرائيل الذكورَ. ترك يوسفُ فأسَه ولبّى النداء. وبعلامة عجائبيّة، تمَّ تعيينُهُ ليأخذ مريم تحت كَنَفِهِ، فَأَغلَقَ عليها في بيته باعتناء، وعاد ليستأنف عمله كنجّار.

في هذه الأثناء، قرّر الكهنة أن يوصوا بنَسْج حجاب لهيكل الربّ، فَقُدِّمَتْ سبعُ فتياتٍ عذارى، فأُوكِل إلى مريم أن تنسَجَ الأرجوان والقرمز، وهذا ما قامت به، إذ إنّها نَفَذَّت العملَ في البيت.

وفي أحد الأيّام خرجت مريم بجَرَّتِها لتستقيَ ماء، وإذا بصوتِ رسولِ السماء يقول لها: "السلام عليك، يا ممتلئةً نعمة"؛ فتلفّتت مريم يُمْنَةً ويُسْرَةً باحثةً عن مصدر الصوت. وإذ تملّكها الخوف، هرعتْ إلى البيت، ووضعت الجرّة، واستعادت الأرجوان؛ استوَت على كرسيّها، وراحت تغزل. وفجأةً، وقف الملاك أمامها وقال لها: "لا تخافي، يا مريم، لأنك حُزْتِ نعمةً أمام الكلّيّ القدرة؛ ستصبحين أمًّا بقوّة كلمته". عندئذ انطلقت مريم في زيارة لأليصابات.

وعندما عاد يوسف من عملِهِ، كانت مريم قد صارت في الشهر السادس، فأخذ يلطم رأسه، وارتمى أرضًا على مِسْحٍ، وبكى، وبكت مريم أيضًا بمرارة. وردًّا على استجواب يوسف لها قالت: "أنا طاهرة ولا أعرف رجلاً". فأجاب يوسف: "من أين أتى إذًا ما تحملينه في بطنك؟" فقالت: "حيٌّ الله، لا أعرف". فبدأ يوسف يخشاها. وفي حلمٍ، ظهر له ملاك وهدّأه.

عَلِمَ حنانيا صدفةً بحال مريم، فكان على يوسف أن يحضر أمام عظيم الكهنة ليبرّر ذاته في شأن العذراء التي كان عليه أن يحرسها. على مريم أن تمرَّ بامتحان ماء المرارة وتنسحبَ إلى الصحراء[١٠]، فإذا كانت بريئة تعود صحيحة سالـــمة. تعجّب الشعب من أنّه لم يتبيّن من هذا الامتحان وجود أيّة خطيئة، فأصدر عظيم الكهنة الحكم التالي: "لأنّ اللهَ الربَّ لم يكشف خطيئتَكِ، فأنا لا أحكم عليكما".

[١٠] إستنادًا إلى عد ٥: ١١-٣١، مَن شكّ في امرأته دون أن تتوفّر لديه لا البراهين ولا الشهود، باستطاعته أن يلجأ إلى الامتحان، فيعطي الكاهنُ المرأةَ ماءَ المرارةِ لتشربه، فإذا كانت مذنبة، ينتفخ بطنها، ويُتلَف حشاها.

وتنفيذًا لأمر أغوسطوس قيصر، ذهب يوسف إلى بيت لحم مع مريم وأبنائه. كانوا في الطريق عندما حانت ساعة مريم لتلد. وجد يوسف مغارة، فترك مريم في حراسة أبنائه، وراح يبحث عن قابل، فوجد واحدةً، وعاد إلى الكهف الذي كانت تلفّه غمامةٌ. وعندما تكشّحت هذه الأخيرة، أشرق نورٌ لا تطيق العيون رؤيته. ولدى تَبَدُّدِ هذا النور أيضًا، كان هناك طفلٌ.

دهشت القابلة من هذا المولد العجيب. وفيما كانت تغادر المغارة، صادفت صالومي، فأخبرتها عن هذا المولد المدهش، فما كان من صالومي، إلاّ أن اقتفت آثار توما غير المؤمن: "حيٌّ الربّ! إذا لم أضع إصبعي وأتفحّص طبيعتها، لن أؤمن أنّ عذراء قد وَلَدَتْ". فانفصلت يدُها عنها، كما لو أنّ نارًا التهمتها، لأنّها جرّبت الله الحي! وفي ذروة بؤسها، صلّت إلى الربّ، فحضر ملاك وقال لها: "الربّ قد سمع صلاتكِ. تعالي والـــمُسِي الطفل، فتشفَين". أطاعت صالومي، فبرئت!

وتتواصل الرواية بزيارة المجوس، ثمّ بمذبحة الأطفال على يد هيرودس. خبّأت مريم الطفل في معلف للحيوانات، بينما فَرَّتْ أليصابات مع الصغير يوحنّا، فانفتح جبلٌ، ووجدت الأمُّ وطفلُها ملاذًا فيه. أوفد هيرودس يستفسر زكريّا عن المكان الذي خبّأ فيه ابنَه، فأجاب بأنّه يجهل ذلك، فَقُتِلَ في الهيكل. وعندما وُجِدَ جثمانه، عقد الكهنة جلسةً، فوقع الاختيار على سمعان كخليفة له. ويمكن الرواية عندها أن تُختَتَم بخاتمة وجيزة يقدّم الكاتبُ فيها نفسَه.

يُلاحَظ أنّنا نجد هنا التقليد القديم حول مولد المسيح في مغارة أو كهف. وصفُ المولد هو ذو دلالةٍ، وهو معاكسٌ للرواية القانونيّة؛ فمريم لا تلد، والمسيح لم يولد، بل ظهر.

٧ – بنية إنجيل يعقوب التمهيديّ

يروي **إنجيل يعقوب التمهيديّ** إذًا، وفي **خمسة وعشرين فصلاً**، وبوصف جميل، قصّةَ الحبل العجائبيّ بالعذراء مريم، وتقدمتها في الهيكل، وخطبتها ليوسف، وبشارتها، وزيارتها، وميلاد يسوع، وزيارة المجوس، وموت زكريّا، وينتهي عند موت الأطفال الأبرياء. وهو إذ يتكلّم على مريم في ضوء العهد القديم (سارة وإبراهيم والخروج)، يرمي إلى أن يُقدّم مريم في إطار تاريخ الخلاص. ومن خلال ما يرويه حول ميلاد يسوع يقصد أن يشيد ببتوليّة مريم الدائمة، وأن يردّ على أعداء يسوع وأمّه العذراء القدّيسة. هذه المعطيات هي موزّعَة على الوجه التالي:

١–٥ : تاريخ والدَي مريم حتّى ولادتها.

٦–٩ : طفولة مريم، في بيتها، ثم في الهيكل.

١٠–١٦ : حبَل مريم بيسوع وصعوبات يوسف.

١٧–٢١ : مولد يسوع ، وحادثة سالومي.

٢٢–٢٥ : مطاردة هيرودس، ومقتل زكريّا.

٨ – مجموعتا الأناجيل المنحولة[١١]

هناك مجموعتان من الأناجيل المنحولة:

الأولى، هي أناجيل المتهوّدين، وتتضمّن خمسة أناجيل، هي التالية:

- إنجيل العبرانيّين
- إنجيل الناصريّين
- إنجيل الأبيونيّين (أو إنجيل الرسل الإثني عشر)
- إنجيل المصريّين
- إنجيل بطرس

الثانية، وتتضمّن سبعة أناجيل، وهي التالية:

- إنجيل يعقوب التمهيديّ
- إنجيل متّى المزيّف
- إنجيل انتقال مريم
- إنجيل يوسف النجار
- إنجيل توما الفيلسوف
- إنجيل نيقوديموس
- إنجيل جملائيل.

أناجيل **المجموعة الأولى** هذه أرادت أن تجمع تعليم المسيح وتنقله إلى المؤمنين؛ أمّا أناجيل **المجموعة الثانية** فرامت أن تخبرنا بما سكت عنه الإنجيليّون، متوخّيةً إرضاء رغبة الاطّلاع عند الشعب المسيحيّ في ما يتعلّق بمريم وبيوسف، وبطفولة يسوع وآلامه. وهكذا كان لنا في هذه المجموعة الثانية قَصَصٌ مطبوعٌ بطابع الخيال، حُرِّر بين القرنَين الثالث والرابع ب. م.

كتابان يلفتان انتباهنا: **إنجيل يعقوب التمهيديّ**، و**إنجيل انتقال مريم**، إذ إنّهما يتضمّنان الخطوط الأولى للاهوتٍ مريميّ، وفكرٍ دينيٍّ عن الحياة الأخرى يستند إلى موضوعات مأخوذة من العهد القديم. من الناحية الأدبيّة اللاهوتيّة، ينفصل **إنجيل يعقوب التمهيديّ** عن أناجيل الطفولة المتأخّرة

٩ – إنجيل يعقوب التمهيديّ وإنجيل متّى المزيّف

هذا الإنجيل هو ترجمة لاتينيّة لإنجيل يعقوب، مع بعض الزيادات، كالهرب إلى مصر، وفيه ما فيه من إسهاب في ذكر المدهشات، وميلاد يسوع المملوء عجائب، ولقاء حنّة ويواكيم عند الباب الذهبيّ (تشديد على ولادة مريم

---

[١١] بولس الفغالي، **المدخل إلى الكتاب المقدس**، الجزء الرابع: **من يسوع إلى الأناجيل**، سلسلة المجموعة الكتابيّة، رقم ١، المطبعة البولسيّة، لبنان، ١٩٩٤، ص ٣٠٩-٣٢٢.

العجيبة)، ووجود الحمار والثور قرب يسوع، لتتمّ نبوءة أشعيا: "عَرَفَ الثورُ مالِكَه والحِمارُ مَعلَفَ صاحِبِه، لكِنَّ إِسْرائيلَ لم يَعرِفْ وشَعْبي لم يَفهَمْ" (١: ٣).

١٠ – إنجيل يعقوب التمهيديّ وإنجيل توما الفيلسوف الإسرائيليّ

كتبه باليونانية أحد المسيحيّين، وقد كان على جهل بالحياة اليهوديّة وعاداتها. تُرجم الى السريانيّة والجيورجيّة والسلافونيّة، ودُمج بـــ**إنجيل يعقوب التمهيديّ**، فنتج من هذا الدمج **إنجيل الطفولة**، كما نقرأه في الأرمنيّة والعربيّة.

١١ – انتشار إنجيل يعقوب التمهيديّ

لم يكن لانتشار **إنجيل يعقوب التمهيديّ** من مثيل في الأدب المنحول؛ فلقد تمّ اكتشاف ما يزيد على ١٥٠ مخطوط في اللّغة الأصليّة، أي اليونانيّة، تعود إلى ما بين القرنين الثالث والسادس عشر؛ إضافة إلى ذلك، هناك ترجمات له إلى لغات قديمة عدّة، منها: اللاّتينيّة، والسريانيّة، والقبطيّة، والأرمنيّة، والجيورجيّة، والأثيوبيّة، والعربيّة[١٢]، والإيرلنديّة القديمة، وغيرها.

وفي حين أنّ الكنائس الشرقيّة أبدت، عبر القرون، الاحترام تجاه ـــ**إنجيل يعقوب التمهيديّ**، واستعملته في ليتورجيّاتها للأعياد المكرّسة لمريم ولحنّة، فإنّ الغرب اللاتينيّ حكم عليه معتبرًا إيّاه كسائر النصوص المنحولة الأخرى. هكذا، ومن بين الكتب التي ينبغي نبذها كونها تأتي من هراطقة ومن منشقّين، يذكر **قرار البابا جيلاسيوس** (القرن السادس)، "كتابًا حول **مولد المخلّص** وحول **مولد مريم** أو **القابلة**"، و"إنجيلاً" تحت اسم "**يعقوب الصغير**". كان لهذا الحكم نتيجتان: من جهة أولى، لم يعش **إنجيل يعقوب التمهيديّ** بصيغته الأولى في العالم اللاّتينيّ؛ من جهة ثانية، من غير الممكن أن تسقط في النسيان رواية بهذه الأهمّيّة حول **مولد العذراء وطفولتها**، لذلك ظهرت تحت صيغة أُعيد النظر فيها، وصُحِّحت، ووُضِعت تحت سلطان متّى، وسُمِّيَت **إنجيل متّى المزيّف**.

يمكن قياس انتشار **إنجيل يعقوب التمهيديّ**، ثمّ **إنجيل متّى المزيّف**، من خلال الأثر الكبير الذي مارسته هذه النصوص على النتاج الإيقونوغرافيّ؛ إنّ لوحات لا عدّ لها حول طفولة مريم، ومولد يسوع، التي أنتجها فنّانو القرون الوسطى، هي ترجمات، عبر الصور والأيقونات والمنمنمات أو قطع فنّيّة أخرى، ومشاهد وإيحاءات من **إنجيل يعقوب التمهيديّ**.

[12] G. GARITTE, *Le Muséon* 1973, 377ss (mss Sin. 535, 556, sec. XII; c. I, 1-3. – Sin. 436, sec. X – le mss arabe le plus ancien! – cc. I,1-XV,4, plus conforme à l'original. Cf. G. GRAF, *Geschichte der christlische arabische Literatur*, 1944, I, 224s.

في القرن السادس، أصدر البابا جيلاسيوس قرارًا أعلن بموجبه أنّ **إنجيل يعقوب التمهيديّ** هو إنجيل هرطوقيّ، فكان لهذا القرار الأثر الكبير في استبعاد هذا الإنجيل، خاصّةً في الغرب، ولكنّ تأثيره، كما أوردنا، كان كبيرًا جدًّا على الصُعُد الليتورجيّة، والفنّيّة، والموسيقيّة، وغيرها.

١٢ – التعبّد المريميّ

في عهد تصادم المسيحيّين واليهود، وطَعْنِ اليهود ببتوليّة مريم، رأينا كيف يعظّم **إنجيل يعقوب التمهيديّ** بتوليّة مريم الدائمة، في حين يعظّم كتاب **رقاد مريم** أمومة مريم الإلهيّة وصلتها بالمسيح. وذلك في أقرب الأماكن والأيّام إلى العائلة المقدّسة التي فيها وفي ضواحيها عاشت الكنيسة الأمّ، ومريم أمّ الكنيسة والمؤمنين. فهنا نراها حاضرة في الكنيسة، بما أوتيت من الصفات؛ فهي الأخت والأمّ والسيّدة والملكة، والوسيطة، فيما الكنيسة مع أبنائها يحيطون بها في حبّ بنويّ، ويخاطبونها في حوار ثقة، ويصلّون إليها ويسبّحونها، فتبدو لنا الكنيسةُ أسرةً تكرّم البتولَ الفائقةَ كأمٍّ وسط أبنائها.

خاتمة

يتكلّم **إنجيل يعقوب التمهيديّ**[١٣] على ميلاد مريم العذراء وطفولتها وعلى ميلاد يسوع. يذكر كيف أنّ الله بشّر بها والديها الشيخين، وأنّها كُرِّسَت للربّ بعمر الثلاث سنوات، قبل أن يَكِلَ رئيسُ الكهنة أمرَها إلى رجل أرمل ليعتني بها ويحفظ بكارتها...

على مرّ القرون لقي هذا المؤلَّف اهتمامًا كبيرًا؛ فلقد أَلْهَمَ كُتُبًا أخرى مماثلة، وأشهرها هو **إنجيل متّى المزيَّف** (القرن السادس)، الذي يقوّي اللهجة من حيث موضوع المعجزات. هو في أساس أعياد ليتورجيّة عدّة، وتعظيم حنّة ويواكيم، والحَبَل بمريم وميلادها. لقد استقى الفنّ المسيحيّ منه كثيرًا، ولكنّ تعظيم نقاء مريم بنوع خاصّ قد غذّى البحوث والدراسات المريميّة اللاحقة.

إنّ هذا الإنجيل التمهيديّ الذي اعتُبِر واضعُهُ لاحقًا أنّه يعقوب الصغير، هو ذو أهمّيّة ليس فقط لاهوتيّة، بل ليتورجيّة أيضًا، إذ إنّه في أساس العديد من الأعياد، كأعياد الحبل بمريم، ومولدها، وتقدمتها إلى الهيكل، واسمَي يواكيم وحنّة والدَي مريم. وقد استلهم الفنُّ المسيحيُّ دائمًا هذا المؤلَّف المنحول؛ لذلك مَن يجهلُه يكون عاجزًا عن فَهْم إيقونوغرافيا حياةِ مريمَ وطفولةِ المخلّص.

مراجع

إسكندر شديد (مترجم)، **الأناجيل المنحولة**، دير سيّدة النصر، نِسْبَيْه، غوسطا ١٩٩٩.

[١٣] بولس الفغالي، **المدخل إلى الكتاب المقدّس**، الجزء الأوّل: **التوراة وعالم الشرق القديم**، سلسلة المجموعة الكتابيّة، رقم ١، المطبعة البولسيّة، لبنان، ١٩٩٤، ص ٧٣-٧٥.

أناجيل طفولة يسوع، في: إسكندر شديد (مترجم)، **الأناجيل المنحولة**، دير سيّدة النصر، نِسْبَيْن، غوسطا ١٩٩٩، ص ١٩-١٢٦.

سابا جورج، **على عتبة الكتاب المقدّس**، منشورات المكتبة البولسية، لبنان، ١٩٨٧، ص ٢٣٩-٢٥٣.

عقيقي إميل، **مدخل إلى الأدب الرّابّيني**، سلسلة "الأدب الرّابّينيّ"، الرقم ١، منشورات كلّيّة اللاهوت الحبريّة، جامعة الروح القدس، الكسليك، لبنان ٢٠٠٥.

الفغالي بولس، **المدخل إلى الكتاب المقدّس**، الجزء الأوّل: **التوراة وعالم الشرق القديم**، سلسلة المجموعة الكتابيّة، رقم ١، الطبعة البولسيّة، لبنان، ١٩٩٤، ص ٧٣-٧٥؛ الجزء الرابع: **من يسوع إلى الأناجيل**، سلسلة المجموعة الكتابيّة، رقم ١، ١٩٩٤، ص ٣٠٩-٣٢٢.

متني فادي، "لائحة بالأناجيل المنحولة: إنجيل يعقوب السابق"، **جريدة بيبليا** ٨ (١٩٩١) ١١.

نصّور جورج (معرِّب)، القدّيس يوستينوس، **الدفاع عن المسيحيّين، الحوار مع تريفون**، مجموعة "أقدم النصوص المسيحيّة"، سلسلة "النصوص الليتورجيّة"، الرقم ٧، الكسليك ٢٠٠٧.

AMANN E., *Le Protévangile de Jacques et ses remaniements latins*, Paris, 1910.

AMIOT F., *La Bible apocryphe*. Évangiles apocryphes, Paris, 1952.

BAUER J. B., *Les apocryphes du NT*, coll. Lire la Bible/ 37, Cerf, Paris 1973.

BOQAERT Pierre-Maurice, PSEUDO-PHILON,

PERROT Charles, *Les antiquités bibliques*, Sources Chrétiennes, Cerf 1979.

BOVON F. et GEOLTRAIN P., *Écrits apocryphes chrétiens* (*EAC*), I, Gallimard 1977.

CAMERON Ron, "Sayings Traditions in the Apocryphon of James", *Journal of Biblical Literature* l05 (l986) 74l-43.

CLÉMENT d'ALEXANDRIE, *Stromates*, V, 13, 16.

HEDRICK Charles W., "Kingdom Sayings and Parables of Jesus in the Apocryphon of James: Tradition and Redaction", *New Testament Studies* 29 (l983) l-24.

JUSTIN, *Première apologie*, 33 et 46.

(يتبع)